(الجن واستماعهم للقرآن وإيمانهم به

ورؤيتهم للإنس دون العكس)

قال تعالى (قل أوحينا إلى أنه استمع نفر منالجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا ...إلخ)

(ما قاله المفسرون في ذلك)

قال بعض المفسرين الجن هم أرواح سفلية مجردة من المادة والماديات وليست اجساما ولا جسمانيات وهي تقابل الملائكة التي هي أرواح علوية مجردة من المادة والماديات أيضا. وقال بعضهم هم أجسام لطيفة نارية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة كما أن الملائكة أجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة وعلى كلا القولين فإنهم يقولون أنهم عالم آخر غير عالم الإنسان وقد حضر نفر منهم أي جماعة فاستمعوا القرآن من النبي (صلعم) وهو لا يعلم بهم فأوحى الله إليه بذلك وبعد استماعهم رجعوا إلى قومهم فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا .. إلخ.

واختلفوا فيهم وفي عددهم فقال بعضهم هم سبعة: أربعة من أهل حران وثلاثة من أهل نصيبين. وقيل هم إثنا عشر ألفا من جن جزيرة الموصل وقيل غير ذلك. وهنا روايات وحكايات لا تكاد تكون معقولة حسب تفاسيرهم مما لا لزوم لذكرها هنا لأنها مسطرة في كتب التفسير.

(لفظ الجن)

(يصح إطلاقه على الميكروبات المنبثة في الماء والتراب والهواء ويطلق على الوفود والجواسيس من الناس الذين يخفون مقاصدهم ويظهرون للناس غيرها)

أقول: إن لفظ الجن يصح إطلاقه على ما استتر واختفى لأنه مأخوذ من (جن) إذا استتر فيصح إطلاقه على جميع أنواع الميكروبات المائية والترابية والهوائية وغيرها لأنها مستورة ومختفية عن الأبصار بحيث لا ترى بالرؤية العادية وإن كانت قد ترى بالمكرسكوب المكبر ومن هذا الإطلاق قوله تعالى الأحزاب ٩ (يا أيها الذين آمنوا أذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها) فالمراد من الجنود الثانية المكروبات المرضية الطائرة في الريح التي ينشأ منها عدة أمراض تفتك بالجنود الأولى أي جنود الكافرين ومنه أيضا قوله تعالى (وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سيجيل) أي مكروبات طائرة ترميهم بذرات من طين سبخة قذر والمكروبات بعضها مضر جدا ومهلك قاتل وهي المكروبات المرضية الداخلة على الجسم فتسمى بالجن الشريرة وبعضها نافع حدا وهي المكروبات الدموية التي تكافح المكروبات المرضية وتسمى بالجن الخيرية. وكذلك يصح إطلاق لفظ الجن على الإنسان الذي يخفى مقصده وغايته ويستر مرامه وغرضه ويظهر للناس غيرها كالجاسوس ونحوه ومنه الوفود التي تأتي من بلاد إلى بلاد أخرى من طرف الدول وغيرها لأغراض وغايات مخصوصة وتظهر خلافها فإنه يطلق عليها لفظ الجن لاختفاء أمرها واستتار مقصدها وغايتها ومن هذا الانطلاق الجن المذكورون في هذه السورة كما سيأتي تفصيله وهذا لا ينافي أن لفظ الجن يطلق أيضا على كثير من أنواع المخلوقات الأخرى المستترة عنا ولكن المراد من هذه الآية هو الجن الإنساني الذي يخفي غايته وغرضه الذي أتى إليه ويظهر خلافه.

(ما افهمه في آيات سورة الجن بكيفية معقولة بحيث تجعل جميع هذه الآيات مرتبطا بعضها ببعض خلافا لتفسير المفسرين)

(وأدلتي الكثيرة على ما أقول)

وبيان ذلك على ما أفهم هو أن جماعة من الناس من أهل حران أو نصيبين أو الموصل من الذين قد سمعوا بظهور محمد (ص) وأنه نبي هذا الزمان من العرب أرادوا أن يتحققوا أمره ويستمعوا أخباره ويستمعوا قرآنه قد ذهبوا إلى مكة متخفين أمرهم عن قومهم الذين كانوا يكرهون محمد (ص) ويمنعون كل من يريد الاتصال به فأظهروا أنهم يريدون الذهاب إلى مكة لأجل التجارة أو نحوها من الأسباب الأخرى فذهبوا إليها واخفوا أغراضهم وغايتهم عن قريش أيضا فنصبوا خيامهم خارج البلدة وصاروا يتصفحون أخباره ويتفحصون أحواله ويأتون سرا عند صلاة الفجر يسمعوا صلاته وقرآنه فتحققوا صدق دعوته وأثر في نفوسهم استماع قرآنه فقالوا لقومهم عندما رجعوا إليهم (إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا) أي لا نشرك به من الآن فصاعدا كما تشركون.

ثم قال تعالى (وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) أي تعالت عظمة ربنا وجلاله واستغناؤه عن جميع خلقه من أن يتخذ صاحبة أو ولدا كما يزعم النصارى. وهذا يدل على أن هؤلاء القوم الذين منهم هؤلاء النفر الذين ذهبوا لتحقق أمر النبي (ص) كانوا من المشركين ومن النصارى أيضا مما يدل على أنهم إنما كانوا من نوع الإنسان لا من الجن بمعنى الأرواح المجردة عن المادة أو بمعنى الأجسام اللطيفة من غير الإنسان كما يقول المفسرون لأن الإشراك بالله تعالى واعتقاد أن لله ولد لم يرد إلا عن البشر لا عن غيرهم.

ثم إن الأحاديث قد دلت على أن وفدة الجن على النبي (ص) كانت ستة مرات وأن النبي كان قد ذهب عند بعضهم في مضارب خيامهم وأنه كلمهم ودعاهم وجعلهم رسلا لمن عداهم كما روى البيهقي وأبو داوود عن ابن مسعود قال (قال رسول الله صلى الله عليهم وسلم أتاني داعي الجن فذهبت معه وقرأت عليهم القرآن قال وانطلق بنا مرة رسول الله (ص) وأرانا آثارهم وآثار نيرانهم) فهذا الحديث يدل على أنهم كانوا من الناس إذ لو كانوا جنا بالمعنى الذي يقوله المفسرون من أنهم أرواح مجردة من المادة والجسم أو أنهم أجسام لطيفة نارية لما كان لهم آثار ولما احتاجوا إلى إقادة نار فكلام النبي لهم ودعوته إياهم إلى الإسلام واراءته لابن سعود وغيره من الصحابة آثارهم وآثار نيرانهم يدل على أنهم كانوا من جن الإنسان. كما أن ذلك يدل على أن الوفود التي كانت تأتي إلى النبي (ص) كانوا نوعين نوع يأتي له بصورة ظاهرة وينزلون عنده أو عند أحد أصحابه في نفس البلد كوفد نجران وغيرهم من الوفود الكثيرة الظاهرة ونوع بصورة سرية خفية وينزلون خارج البلد كهذه الوفود الستة المعبر عنهم بوفود الجن أي بالوفود الخفية.

ومما يدل على ذلك أيضا قوله تعالى في صورة الأحقاف ٢٩ (وإذا صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قال أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاب أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ومن لم يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه من أولياء أولئك في ضلال مبين) فهذه الآيات تدل على أنهم هم وقومهم كانوا من الناس ومن أتباع موسى وأنهم أتوا بصورة سرية ليستمعوا القرآن ويقفوا على حقيقة دعوى النبي عليه الصلاة والسلام. فآية سورة الأحقاف هذه تشعر بأن المراد من نفر الجن المذكور فيها جماعة من اليهود مستترين كما أن سورة الجن تشعر بأن المراد من نفر الجن المذكور فيها جماعة أخرى من النصارى).

ثم قال تعالى (وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا وإنا ظننا أن لن تقول الأنس والجن على الله كذبا) أي أن السفيه منا الضعيف العقل الخفيف الحلم كان يقول على الله أقوالا شططا أي متجاوزة الحد في الجهل والظلم كان يقول لله شريك أو ولد وأنا كنا نظن أنه لا يتجاسر أحد من الأنس والجن على أن تقول الكذب على الله. والمراد من الإنس هنا صنف من الإنسان ومن الجن صنف آخر منه فما يؤتنس به ويسكن إليه القلب وتطمئن إليه النفس ويكون أمر باطنه كظاهره مرئيا معروفا مبصرا مأنوسا فهو انسي وما كان بعكس ذلك بأن كان ممن يخفى أمره وشأنه ويستر حاله وصفته فهو جني.

ومما يدل على أن الإنس والجن صنفان من الإنسان قوله تعالى عقبها (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) إذ أن لفظ الرجل في اللغة إنما يطلق على الذكر من الإنسان فقط لا على غيره ومعنى الآية أنه كان كرجال من الناس الظاهرين في أمرهم البسطاء في أشغالهم وأعمالهم واعتقاداتهم يعوذون أي يتحصنون ويعتقدون في أعمالهم وعقائدهم وقضاء مآربهم وحوائجهم برجال من الجن أي المختفين في أعمالهم الدقيقين في أشغالهم المدققين في اختباراتهم وأبحاثهم فزادوهم رهقا أي زاد الجن الإنس تعبا وشقاوة وغفلة وغيا وطغيانا وشرا أي أما نحن فإننا ما أخفينا عليهم الحقيقة أبدا بل أخبرناكم بالحق الواقع وهو صحة بنوة محمد وأننا آمنا بالقرآن وبتعاليمه وأننا لن نشرك من الآن فصاعدا بربنا أحدا وأننا أصبحنا نعتقد أن الله تعالى لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وأنه تعالى قد بعث في هذا الزمان محمدا.

ثم قال تعالى (وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا) أي أن الجن الذين كنتم تعتمدون عليهم في اختباراتهم وأبحاثهم ونقلهم الحقائق إليكم ظنوا كما ظننتم أن لين يبعث الله من بعد الأنبياء السابقين أحدا خصوصا النصارى منهم الذين يعتقدون أن المسيح هو (إعلان الله النهائي) وأنه لا يوجد بعده نبي أبدا ثم قال تعالى (وإنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا) أي أما نحن فإننا حينما سافرنا إلى مكة واختبرنا حال هذا النبي وبحثنا عن حقيقة أمره وعلو مقامه وعن سماء دينه وتعاليمه وشريعته وقرآنه فقد وجدنا هذه السماء حينما لمسناها بقلوبنا وأفئدتنا وعقولنا وبصائرنا قد ملئت حرسا شديدا وشهبا والمراد من الحرس الشديد هنا هو الأدلة القوية والبراهين القويمة التي وجدوها في القرآن الحكيم التي حرست عقائده وتعاليمه من شبه المضللين وتمويه المخادعين وتشكيك المشككين هي الشهب التي تنقض على المبطلين وتحرق قلوب المعاندين ويحتمل أن يراد بالحرس الشديد والشهب هم صحابة رسول الله وعلماء أمته الذين سهروا على المحافظة على دين الله والقيام بأوامره والعمل بتعاليمه وشرائعه وقاموا بدحض شبه الكافرين بدين الله وكرسوا رؤوس المعاندين لدعواه.

ثم قال تعالى (وإنا كنا نعقد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) أي وقالوا إنا كنا في سفرنا هذا نقعد من هذه الشريعة الجديدة السامية ومن هذه الديانة السماوية العالية ومن هذه الآيات القرآنية المحكمة مقاعد كثيرة نتفحص حقيقتها ونسبر غورها ونقف على خفاياها ودقائقها ونسمع أخبارها ونتفهم حقائقها حتى عرفناها حق المعرفة ووقفنا على حقيقتها تمام الوقوف فمن يستمع منكم الآن مما عرفناه منها يجد له شهابا رصدا أي يجد قوة تنقض على أباطيله ونورا ثاقبا

تضيء ظلمات جهله ويرصد جميع خرافاته عقائده الباطلة فيمحوها من العقول ويبددها من الوجود أو المعنى انه يجد الآن صحابة وأتباعا لرسول الله يرصدونه أي يرصدون المستمع الآن فلا يتمكن من إلحاق الأذى بهم وبرسولهم كما كان يتمكن من ذلك سابقا.

ثم قال تعالى (وأنا لا ندرى أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا) أي أننا لا ندري بسبب ظهور محمد وقيام هذا الدين وانقلاب الدنيا بسببه رأسا على عقب (أشر أريد بمن في الأرض) بما سيكون من هذه الانقلابات العظيمة والحوادث الجسيمة وتبديل الأرض بغير الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا وصلاحا في المستقبل أي كما تحقق ذلك في المستقبل فعلا ثم قال تعالى (وإنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا) أي إنا كنا قبل معرفة هذا الدين طرائق قددا في عقائدنا وأعمالنا فمنا الصالحون ومنا دون ذلك كالفاسقين والكافرين والمشركين أي كنا في طرائق متقطعة ومسالك متدابرة فأصبحنا بمعرفة هذا الدين بنعمة الغلام أخوانا متمسكين بحبل الله جميعا نمشي في طريق واحد لا تعدد فيها ولا تقديدا أي لا تقطيع فيها لأن القد معناه القطع. ثم قال تعالى (وإنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا) أي وأنه قد غلب على ظننا الآن أن لن نعجز الله في أرضه بالهروب من دينه وإننا لن نتمكن من ذلك بعد قيام حجته وظهور دليله ثم قال تعالى (وإنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا) أي أننا نحن سمعنا الهدى آمنا به فهل لكم أن تؤمنوا به كما آمنا لأن من يؤمن بربه لا يخاف بخسا من الناس ولا رهقا منهم لأنه إنما اعتقد الحق وآمن بمن برأ الحق.

ثم قال تعالى (وإنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فألئك تحروا رشدا) أي وإنا منا ننحن العرب المسلمون لله تعالى المنقادون إليه ومنا القاسطون أي المائلون عن طريق الحق والهدى فمن أسلم لله فأولئك قد تحروا وتوخوا الحق الواضح والسبيل الناجح والطريق الرشيد ثم قال تعالى (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وإن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا) أي أن المائلين عن الحق الجائرين فيه قد كانوا حطبا للعذاب أي كانوا القائدين المشعلين لنار الظلم والجور للناس وتعذيبهم وإضاعة حقوقهم كما يشعل الحطب ولو أنهم استقاموا على الطريقة الحقة والصراط المستقيم ولم يميلوا عنه لأسقيناهم ماء غدقا أي أنعمنا عليهم إنعاما كثيرة مغدقة لنفتنهم في هذا الماء الغدق ونختبرهم بهذه النعم الكثيرة ونمتحنهم فيها فمن أعرض عن ذكر الله وعن شكره عليها يسلكهم الله عذاب صعدا أي عذابا شاقا يتصعد إليه تصعدا كما يتصعد إلى الجبل.

وهذه الآيات كلها تدل على أن الكلام إنما هو في الإنسان لا في الجن بمعنى الأرواح المجردة عن المادة والأجسام اللطيفة النارية كما يقول المفسرون وكذا قوله (وإن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا) فإنها دليل أيضا على ذلك لأن المساجد إنما تكون للناس لا للجن وأيضا قوله فلا تدعوا مع الله أحدا فأنه يدل على أنالمراد من هذا الكلام هم الناس لأنهم الذين ورد عنهم أنهم يدعون مع الله إلها آخر.

ثم قال تعالى (وإنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا أي لما قام النبي (ص) يدعو الله تعالى دون آلهة المشركين الأخرى كاد هؤلاء المشركون أن يتراكموا عليه ويتلبدوا حوله ويزدحموا عليه متعاونين على عداوته والنيل منه ويحتمل أن يكون المعنى أن الناس قد تراكموا عليه في أخذ عقيدة التوحيد عنه حيث أنهم أحبوها واعتقدوا بها كما حصل فعلا من تراكم الناس على التوحيد بعد ظهوره وعلى كلا الاحتمالين فأنت ترى أن الكلام إنما هو في الناس وهذا أدل دليل على أن المراد من الجن المتحدث عنهم في هذه الآيات كلها إنما هم الناس دون الجن بمعنى الأرواح المجردة أو الأجسام اللطيفة النارية كما يقول المفسرون. وهكذا إذا قرأت بقية السورة فإنك تجد أن المتحدث عنه إنما هو الإنسان.

وحيث كان من المحقق أن جميع ضمائر هذه الآيات من أولها إلى آخرها إنما هي راجعة إلى الجن في قوله تعالى (قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن) وأن المتحدث عنه في جميع هذه الآيات إنما هو الجن وأن السورة هي سورة الجن تعلم حينئذ ما هو المراد من الجن في كل هذه الآيات وأنه ليس المراد بها إلا الجن من الإنسان كما بيناه لك موضحا وإن لم يقل به أحد من المفسرين. كما أنه لم يفسر هذه الآيات بالكيفية والشكل الذي فسرناها به أحد من المفسرين أيضا.

وباطلاعك على تفاسيرهم لهذه الآيات ترى العب العجاب مما لا يليق ... يفسر به أي كتاب فضلا عن كتاب الله الحكيم وبالنظر لكونهم قالوا الجن هي أرواح مجردة عن المادة أو هم أجسام لطيفة نارية وأنه ليس المراد ... الإنسان قطعا فقد وقعوا في تفسيرهم لكثير من هذه الآيات في (حيص....) ولم يجدوا طريقا لتفسير كثير منها بمعنى مقبول ولم يتمكنوا من تطبيق هذه الآيات بعضها على بعض كما فعلنا حيث لم نتقيد في معنى الجن بالمعنى المعروف المشهور بل فسرناه بالمعنى اللغوي وعلى كل حال فالله أعلم بمراده.